بحوث في اللغة العربية وآدابها: نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات الأجنبية بجامعة إصفهان
العدد ٩ (خريف وشتاء ١٤٣٤ـ١٤٣٥هـ. ق/١٣٩٢ هـ. ش)، ص ٢٣ ـ ٣٦

أبو المجد الأصفهاني حياتُه وشعرُه[١]

حميد باقري دهبارز❖
نصرالله شاملي❖❖
سردار أصلاني❖❖❖

الملخص

أبو المجد الأصفهاني من أهم أبرز الشعراء الإيرانين المعاصرين الذين قالوا الشعر بالعربية وعاشوا وترعرعوا في الظروف الإيرانية ـ العراقية ونهلوا من المنهلين العربي والفارسي. هذا ولم تحظ حياته العلمية والأدبية ـ رغم أهميتها ـ حظا وافرا من الدراسات الجامعية مما جعل هذا البحث أن يتناول حياة أبي المجد الشعرية والعلمية.

من أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة التي انتهجت المنهج التحليلي ـ الوصفي هو أن أشعار أبي المجد جلها في مدح الإخوان وذم أهل البطلان ورثاء الأصدقاء، كما له مدح وجوه العلماء والأدباء وهجاء غير ذوي المروءات في عصره. أما شعره مع قلّة الأبيات فمملوة بالمعاني العميقة والصنايع البديعية وهو مجدّ أن يرصّع شعره بالجناس والتورية وغيرهما من المحسنات اللفظية والمعنوية.

المفردات الرئيسية: أبوالمجد الأصفهاني، الأغراض الشعرية، الإخوانيات، المدح.

المقدمة

ما إن وصل الإسلام إلى أبواب إيران حتى احتضنه الفرس وانضموا إلى المسلمين وكأن الإسلام هدفهم المنشود أو قبلتهم المأمولة «**لقد اتصل العرب بالفرس بعد الفتح الإسلامي على نطاق واسع .وكان الاتصال بين العرب والفرس قبل ظهور الإسلام يقوم على نطاق محدود أساسه الجوار**» (كفافي، ١٩٧٠م، ص ٩). وإنَّ الفتح الإسلامي قد أحدث في إيران عصراً جديداً أدّى إلى تغييرات جوهريةٍ على

١ـ تاريخ التسلم: ١٣٩٢/١/٢٧هـ. ش؛ تاريخ القبول: ١٣٩٣/١/٢٧هـ. ش.

❖ طالب الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان. Email: bagheridehbarez@gmail.com
❖❖ أستاذ في اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان.
❖❖❖ أستاذ مساعد في اللغة العربية وآدابها بجامعةإصفهان.

لغة الفرس وأدبهم، واستطاع الفرس التنويع في أداء المعاني وذلك باستخدام المعاني الفارسية في المفردات العربية وبرز في هذا المضمار غير قليل من الشعراء الإيرانيين الذين ينشدون بالعربية؛ ويعدُّ شاعرنا أبا المجد واحداً من هؤلاء الذين برزوا بين أعلام الأدب العربي؛ وبما أنّه عاش حقبة طويلة من عمره في النجف، استطاع أن يتطاول على كثير منهم لما يتمتع به من مواهب وقابليات. فهو عاشر فريقاً من الذين كانوا يمتلكون ناصية الأدب؛ كالشيخ جواد الشبيبي، والشيخ هادي بن العباس، و السيد جعفر الحلّي والسيد إبراهيم الطباطبائي، والسيد محمد سعيد الحبوبي، فكان من بينهم مرموقاً بعين الإكبار والإعجاب حتّى قيل: **«لا مجال لأيّ أديب أن يجحف حق الأصفهاني و أدبه الذي فاز بسببه على كثير من أدباء العرب، ومن تأملّ في سيرته لا شك يرى أنّ المترجم له قد تجلّت فيه بعض ظواهر العبقرية، فإحاطته بالأدب وفهمه لأسراره، وتوغله بالتتبع، و وقوفه على المفردات اللغوية تدلّنا على ذكاء وحافظة نادرين»** (الخاقاني،١٤٠٨هـ، ج٤، ص ٤٥)، وهو قد تحبب بالغزليات والموشحات والدوبيتيات وكل هذه المقطعات الشعرية لا تخلو عن نكت دقيقة في الأدب والاجتماعيات ففي إنشاد الدوبيتيات توفق وابتكار في المعاني ويساعده الأدب الفارسي والعلوم الدينية في صيد الألفاظ وبسط المعاني، فلا غرو إذا جاءنا في شعره الذي يختلف كثيراً من شعراء عصره. أمّا بالنسبة للمقال، فهو يتناول لمحة عن حياة الشاعر وآثاره ثم يتطرق البحث إلى موضوعات شعره وتحليلها حسب ما يقتضيه المقال.

الدراسات السابقة

فيما يخص بالدراسات السابقة فمن الممكن الإشارة إلى كتاب *شعر أبي المجد النجفي الأصفهاني (دراسة موضوعية فنية)* وهو كتاب جديد الطبع لباحثة عراقية اسمها «إسراء، محمد رضا صلال العكراوي»؛ فالمؤلفة تناولت شعر أبي المجد من منظور فني وقدّم صورة واضحة من كيفية حياته وموضوعات شعره وأسلوبه الأدبي والحقيقة لو كنت رأيت الكتاب قبل تسعة أشهر لما كتبت هذه الدراسة أو لتناولت جانبا آخر من شعر أبي المجد لأن:

إذا قالـــــت «حــــذامُ» فصــــدّقوها   فــأنّ القـــول مـــا قالـــت «حـــذامُ»!

أما في إيران فللباحث «أحمد شاملى» فضل السبق في دراسة حياة أبي المجد وشعره فله مقال عنوانه «أبوالجد علامه شيخ محمد رضا نجفى اصفهانى» مطبوع في مجلة «فرهنگ» العدد ١١ سنة ١٣٧٨هـ.ش، فالباحث تناول في المقال حياة أبي المجد أكثر مما تناول شعره وأشار بالاختصار إلى كيفية حياته وموضوعاته الشعرية (شاملى، ١٣٨٧، ص ٦٢ ـ٧٠).

أضف إلى ذلك ما جاء به «مجيد هادي زاده» محقق كتاب *السيف الصنيع لرقاب منكري علم البديع* في المقدمة حول حياة المؤلف ـ أبي المجد ـ وآثاره وأساتذته وأولاده وتلامذته حيث يعطي تصويرا واضحا لمعالم حياته المختلفة (أبو المجد، ١٤٢٧هـ، ص ١١ ـ ٢٢).

موجز عن حياة أبي المجد

يقول عنه الحلّي: **«هو مجموعة الكمال والفضل الفاضل الشهير بالشيخ (آغا رضا الأصفهاني) خلف العلامة الرباني المتأله (الشيخ محمد حسين) رضوان الله عليه سليل العلامة المحقق (الشيخ محمد تقي) قدس سرّه صاحب هداية المسترشدين في شرح معالم الدين. وهم سلسلة علم وفضل وأعلام هداية. ولهم في العلم والدين مساع مشكورة. وهم أحفاد الشيخ الكبير كاشف الغطاء وهو قدس سره جدّهم لأمّهم»** (الحلّي النجفي، ١٩٩٨م، ص ١١١). ويصفه صاحب ريحانة الأدب بقوله: **«كان من أجَلّ علماء عصرنا؛ فكان فقيهاً، وأصولياً، وحكيماً، ومتكلماً، وعروضياً، وشاعراً ماهراً، يجمع بين العلوم المعقولة والمنقولة»** (مدرس تبريزى، ١٣٧٤هـ.ش، ج٧، ص ٢٥٢).

ولد بالنجف في ٢٠ المحرم سنة ١٢٨٧ وتوفي بأصفهان سنة ١٣٦٢ وأقام له مجلس الفاتحة السيد أبو الحسن الأصفهاني في النجف (الأمين، ١٩٨٣م، ج٧، ص ١٦)، فلما ارتحل هو رحمه الله دفن في تخت فولاد بأصفهان في مقبرة جده الشيخ محمد تقي الأصفهاني سنة ١٣٦٢ (أبو المجد، ص ٢٣). وقال جابري أنصاري مادة تاريخ وفاته شعراً:

إذا جـــاءَ البشـــير وقـــالَ أرخ لقـــد آوَى الرضـــاءُ بالجنـــانِ

(جزى، ١٣٢٨هـ، ص ٧٧)

وكانت نشأته الأولى في النجف، تعلّم القراءة والكتابة فيها، وفي التاسعة من عمره ذهب به أبوه إلى أصفهان لكنّه عاد إلى النجف في الرابعة عشرة من عمره وبقي هنا حتى سنة ١٣٣٣هـ.ق (نجفى، ١٣٨١هـ.ش، ص ٨٦)، فهو يقول في هذا المجال:

سافرت بخدمة الوالد إلى أصفهان وعمري تسع سنين وبعد سنين رجعت إلى النجف واشتغلت بقراءة الفصول وتفسير البيضاوي وشطر من تفسير الكشاف عند الوالد وقرأت النحو من غير كتاب ومعالم الأصول والروضة في شرح اللمعة على السيد إبراهيم القزويني وقد ترجمته في حلي الزمان العاطل وقرأت رسائل الشيخ المرتضى قليلاً منه على الوالد وأكثره على شيخنا وأستاذنا الشيخ فتح الله المشهور بالشريعة مدار ثمّ حضرت دروس سيدنا السيد الكاظم اليزدي وشيخنا الشيخ ملا كاظم (الخراساني) ولمّا أتى السيد العلامة السيد محمد الفشاركي الأصفهاني من سامراء إلى النجف واظبت على الحضور عنده وانتفعت منه لم أنتفع من أحد على قصر المدّة عنده وتعلمت العلوم الرياضية بأقسامها من الفاضل الكامل الميرزا حبيب الله العراقي وأخذت علوم الحديث من ثقة الإسلام النوري والسيد المرتضى الكشميري (المصدر نفسه).

وتخرّج في الأدب والشعر على شاعر عصره الشهير السيد الجفر الحلّي، وساجل كبار شعراء العراق حتى برع في الشعر العربي ونظم فيه فأجاده كلّ الإجادة. وبعد أن استحصل شيخنا العلم في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف أكثر من ثلاثين سنة وبلغ المرتبة السامية من الثقافة العالية عزم في سنة ١٣٣٣ على العودة إلى أصفهان، لأجل المضايقات والفتن التي كان يصيبه طرف منه بسبب قيام الحرب العالمية (أبو المجد، ١٤٢٧هـ، ص ١٥)،- والعجيب أنّنا لا نجد أثر ذلك في أشعاره - فخرج من العراق بصحبة الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي إلى سلطان آباد حيث بقي الشيخ الحائري بها وقصد أبوالمجد أصفهان فوصلها محرم سنة ١٣٣٤هـ.ق. قوبل في أصفهان بحفاوة وإكبار بالغين وحصل له ما كان لسلفه الأعلام من الزعامة الدينية والمكانة الروحية، فنهض بأعباء الرئاسة والهداية والإرشاد والتوجيه وقام مقام والده في سائر الوظائف الشرعية. وفي سنة ١٣٤٤ ذهب إلى قم وبقي بها مدرّساً نحو سنة واحدة، فتزاحم على مجالس درسه أفاضل الطلاب والمتعلمين. و«**كان زعيم الحوزة الدينية في قم المغفور له الحاج الشيخ عبدالكريم الحائري يوصي الطلبة بالحضور لديه والاستفادة منه، لما يعلم من مبلغ علمه وإحاطته بالعلوم الحوزوية وغيرها**» (رازي، ١٣٥٢هـ، ج١، ص ٢٤٢).

والحق أنّ المترجم له كان آية في الذكاء وحدّة الفهم، برز بين أعلام النجف وتطاول على كثير منهم لما حواه من مواهب وقابليات ونازل كثيراً من الفرسان الذين عرفوا بالسباق والقوة في سائر الحلبات والأندية الأدبية في النجف، وعاشر فريقاً من الذين امتلكوا ناصية الأدب، وبذّوا أقرانهم كالشيخ جواد الشبيبي والشيخ هادي بن العباس والسيد جعفر الحلي والسيد إبراهيم الطباالطبائي والسيد محمد سعيد الحبوبي، فكان من بينهم مرموقاً بعين الإكبار والإعجاب، وكان فَكهاً ظريف المعشر وله حكايات ومداعبات مع من مرّ ذكرهم لا تزال تذكر. وكان قصير القامة صبيح الوجه صغير العمة (الخاقاني، ١٤٠٨هـ، ج٤، ص ٤٤ -٤٥)، سريع القول محبّذ الصحبة كثير البداهة (نجفى، ١٣٨١، ص ١٠٢).

أساتذته

١- كان والده السيد «محمد حسين» أوّل أستاذه الذي تعلّم عنده قراءة *الفصول* و*تفسير البيضاوي* وشطر من *تفسير الكشاف*

٢ـ السيد إبراهيم القزويني، تعلّم عنده *معالم الأصول والروضة في شرح اللمعة*

٣ـ الشيخ فتح الله المشهور بـ«شريعتمدار»، تعلّم منه *رسائل الشيخ المرتضى*

٤ـ السيد كاظم اليزدي

٥ـ الشيخ ملا كاظم الخراساني

٦ـ العلامة السيد محمد الفشاركي الأصفهاني

٧ـ الميرزا حبيب الله العراقي، تعلّم منه العلوم الرياضية

٨ـ السيد جعفر الحلّي وأدباء النجف وفضلائها، تعلّم منهم الشعر وعلوم الأدب

آثاره

لشيخنا أبي المجد حواش كثيرة على الكتب التي كان يقرأها في الفقه والأصول والحديث والتفسير والكلام والتراجم والأدب، له تأليفات متعددة و«**قد بقي منه نحو ثلاثين كتاباً بين مطبوع ومخطوط**» (رازي، ١٣٥٢هـ.ش، ص ٢٤٣). وفيما يلي أهم تآليفه:

١ـ *الإجازة الشاملة للسيدة الفاضلة*، إجازة حديثية كتبها للحاجية أمينة الإصبهانية وقد طبعت

٢ـ *أداء المفروض في شرح أرجوزة العروض*، والأرجوزة لميرزا مصطفي التبريزي طبع

٣ـ *الأمجدية*، في آداب شهر رمضان المبارك، ألفه باسم والده الشيخ مجد الدين، طبع ثلاث مرات

٤ـ *تصانيف الشيعة*، خرج منه قليل

٥ـ *حاشية روضات الجنات* وقد طبعت

٦ـ ديوان شعره المطبوع، ولكن أشعاره على حد قول «هادي النجفي» ـ وهو من أحفاد أبي المجد المقيم في أصفهان ـ أكثر بكثير مما طبع ولكن تخطفها يد الزمان والسبب يعود إلى عدم اهتمام الشاعر نفسه بجمع شعره وتبويبه (النجفي، في حوار مع كاتب البحث).

٧ـ *گوهر گرانبها در ردّ عبد البهاء*

٨ـ *نقد فلسفه داروين*، ثلاثة أجزاء طبع الأول والثاني منها ببغداد. وقد ذكر صاحب *الريحانة* تأليفات أخرى لشاعرنا، وهي: *تنبيهات دليل الانسداد*، *ذخائر المجتهدين في شرح كتاب معالم الدين في فقه آل طه ويس*، *سمط اللآل في الوضع والاستعمال*، *السيف الصنيع لرقاب منكري علم البديع*، *وقاية الأذهان* (تبريزى، ١٣٧٤هـ، ج٧، ص ٢٥٣) وذكرت أيضاً في *تذكرة القبور* آثار أبي المجد وإضافة إلى ذلك ذكرت هذه الآثار: *إستيضاح المراد من فاضل جواد*، *الروضة الغناء في معنى الغناء*، *حلي الزمان العاطل*، *روض الأريض*، *القول الجميل*، *الموامج والروزنامج* (جزى، ١٣٢٨، ص ٧٧).

أغراضه الشعرية

إنّ لأبي المجد أشعاراً في مختلف الأغراض ولكن أشعاره الإخوانية أكثر من غيرها؛ وبعد ذلك مدح الأصدقاء من الفقهاء والشعراء وأهل الزمان رثاء بعض الوجوه العلماء مثل آل كاشف الغطاء وممن عاصرهم الذين ارتحلوا وأثروا في قلب الشاعر أثراً مؤلماً دفعه إلى رثاهم ثم وصف الرياض والشيشان في إطار الدوبيتيات ولد موشحات في التغزل ومدح أئمة الطاهرين سلام الله عليهم وفيها يلي نذكر أهم أغراضه:

أ) الإخوانيات

كما مرّ أن الشعر الإخواني أهم ما يوجود في ديوان شعره من حيث الكيفية والكمية، والإخوانيات «**هي غرض شعري يتصل بالعلاقات الاجتماعية الفردية ومناسباتها ويمكن أن يطلق عليه شعر المودة والصداقة الذي يقوي التواصل بين الأصدقاء والأقارب**» (صلال العكراوي، ٢٠١٢م، ص ٣٥)، والشعر الإخواني هو شعر يتم به عملية التواصل الودي والعاطفة الصادقة فيما بين الصديقين.

وبما أن الشعر الإخواني عملية تواصلية فبحاجة إلى طرفين يتواصلان ويتعاوران الودّ، فمن أهم ما يرتبط به أبو المجد هو الشيخ هادي كاشف الغطاء والأديب أبي المحاسن حسن الحائري والشيخ مصطفى التبريزي ونفر أخر من ذوي العلم والجاه. والشاعر يقول في قصيدة موجهة إلى التبريزي وهو راحل عنه:

يـا طـرفُ حتـى متـى تـذري الـدمعَ بعـدَهم ... قـد أسـهروك ولكـن عنـك قـد رقـدوا
ولـو رضـوا بالـذي طـرفي يكابـدُه ... مـن بعـدهم هـانَ مـا يلقـى ومـا يجـدُ

(أبو المجد، ١٤٠٨هـ، ص ٥٦)

وقلب الشاعر يحترق في هجر الأحباء وعينه لا تنام ولكن لابدّ له أن يتصبر ويتجمل في هذا الفراق المضني، فموسيقى الشعر حزينة وألفاظه توحي مدى الألم والتحسر بشكل يقنع المتلقي حتى يواكب الشاعر في ما يريد إلقاءه.

إضافة إلى الشعر الإخواني الذي يعبّر به الشاعر عن صدق ودّه وصفاء صدقة تجاه الإخوان أو تحسره على فراق الأحبة ونحن نرى في ديوان الشاعر مقطوعات تحمل في طياته التحية والسلام ومنها ما أرسله إلى محمد مهدي نجل العلماء قائلا:

تحمّـل هـداك اللهُ منّـي تحيـة ... تبلّغهـا عـني إلى السـيد المهـدي
فتـى فـاق في الفضـلِ المشـايخَ يافعـا ... وحـاز المعـالي وهـو في دارة المهـدِ

والشعر واضح المعنى وهو يخاطب شخصا ويرجو منه أن يبلغ سلامه إلى السيد المهدي، ولكن المبالغة التي يدرجه الشاعر في البيت الثاني ـ ومن مثل هذه المبالغات كثيرة في ديوانه ـ وهو يفخر بصديقه ويباهي به بما أن المهدي يسود المشايخ وهو يافع وحاز المعالي وهو في المهد! والشاعر بهذه المبالغة العجيبة توحي بيت عمرو بن كلثوم الشهير ويصدّق عليه مَثَل: «أفخر من عمرو بن كلثوم»:

إذا بلـغ الفطـامَ منـا صـبيٌّ ... تخـرُّ لـه الملـوك السـاجدينا!

(عمر بن كلثوم، ١٩٩١م، ص ٩١)

والشاعر في شعره الإخواني صادق خالص لا يقصد من وراءه هدية وأي نفع مادي وإنما يبذل جهده لكي يواصل صداقته مع العلماء الكبار وينهل من منهل ودّهم الصافي.

لأبي المجد مداعبات تندرج في دائرة الشعر الإخواني وهو في كثير منها يتخذ منهج السخرية والفكاهة لإيجاد التأثير في نفوس سامعيه فقال مداعبا مع بعض أعمامه مضمناً حكاية أبي لهب مع النبي ﷺ:

وَيـا ربّ عَـمٍّ لـي يـريني بَشاشـةً ... وفـي قلبـهِ غَـيظٌ عليّ قـد التَهَـب
فيـا عمّنـا لَسـتُ النبيَّ محـمداً ... فلـم صـارَ عمّـي في الشـقاء أبـا لهـبِ

(المصدر نفسه، ص ٤٠)

ومن مداعباته الشعرية ما قاله لبعض أصدقاءه وقد تزوج بنت السيد القطب:

وَلا عَجَب إن كان مِثلي مُبَعَّدٌ — وَغيري قَريبٌ مِن حِمى السّيد القُطبِ
كذا أسدُ الأفلاك عَنه مُبَعَدٌ — وأقربُها مِن قُطبها صُورةُ الدُّبِّ

(المصدر السابق)

ومن جملة مداعباته أيضاً ما قاله في من كتب إليه يستهدي خضاباً:

كتبتَ تَستهدي خضاباً وَلا — يعودُ مِن بَعدِ المَشيبِ الشّباب
ذقنُك يا هذا عَلَى طُولِه — يصلَحُ بالنّورةِ لا بالخضاب

(المصدر نفسه، ص ٤١)

وله مخاطباً خاله السيد إسماعيل الصدر ومداعباً له لحبه الباذنجان وحبه هو للطماطة:

أيها الخالُ دَع طريقَ العنادِ — وَاترُكن أكلَ أسود كالمَدادِ
لا تفضلّ عَلَى الطماطةِ شيئاً — إنَّ شرَّ الألوانِ لونَ السوادِ

(المصدر نفسه، ص ٦١)

وقال مداعباً لرجلٍ يشمّ ورداً:

أ جاعلَ وَرداً عَلَى ذقنهِ — كأنَّ أذى الوَردِ أمرٌ مُهمّ
تَشُمُّ مِنَ الوَردِ أنتَ الشَّذا — وَلكن سَل الوردَ ماذا يشمّ

(المصدر نفسه، ص ١٢٣)

فكما مرّ أن للشعر الإخواني حظ وافر في ديوان أبي المجد فالشاعر يسعى بشعره هذا أن يواصل المودة فيما بينه وهولاء الأصدقاء. أما شعره الإخواني فإما بيان عن تحسره على فراق الأحبة وإما تحية لصديق ودود وإما ممازحة ومداعبة معه تنطوي على نوع من المودة الأصيلة.

ب) المدح

مدح أبوالمجد أشخاصا يراهم أهلاً للمجد ويكبرهم في حياته ومن جملة من مدحهم في ديوانه أكثر من غير مرّة هم آل كاشف الغطاء؛ فمدح العلامة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء ومدح الأديب المرحوم عبد المجيد نجل العلامة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء والشيخ علي بن الرضا آل كاشف الغطاء والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء والشيخ علي آل كاشف الغطاء. فنراه في مدحه الشيخ هادي آل كاشف الغطاء كيف يهيج شاعرَنا هبوبُ النسيم الذي يهبّ من جانب منزل المحبوب وينتظر الشاعر بفارغ البال علّه يأتيه خبر من جانب المعشوق ويستنشق هذا الخبر كرائحة العطور:

هَبَّ النسيمُ مِن الحمى عَطِرَا — فعسى نُحَمّلُ منهمُ خَبَرَا

(المصدر نفسه، ص ٦٣)

ونشاهده كيف يضحّي بالغالي والرخيص في سبيل المحبوب؛ ويسكب دموعه الغالية ـ وهي كل ما يملكه الشاعر ـ كي يجد السبيل إلى المحبوب لكن هيهات أن تساعده الدموع الغزيرة لأنَّ الشيء إذا كثُرَ هان قدرُه وهكذا شأن دموع الشاعر التي تجري من جفونه القرحة:

هانَت دُمُوعي فيك مُذ كثُرت — وَ يقَلّ قَدرُ الشيءِ إن كثُرَا
صَدّقتَ أقوالَ الوُشاةِ وكَم — كذَّبتُ فيك السّمعَ والبَصَرَا

(المصدر نفسه)

لكن الشاعر ما يزال يَمّني نفسه بقرب المحبوب ويزعم أنَّ دموعه المنهمرة تساعده وتُرَوّضُ قلبه القاسية ؛ وسرعان ما يخيب أمله عندما يراه يصَدّقُ أقوالُ الوشاة الذين لا همَّ لهم إلا إبادة صداقتهم الحميمة ، فيسعى من جديد ألا يصَدّقُ ما تراه العين ويكذّبُ ما تسمعه الأذن وحينما يرى قساوة المحبوب وظلمه إياه ، ـ ويتَيقَّنُ من ذلك ـ لا يتعجّبُ من هذا الأمر لأنّه قد قُدِّرَ من الأزل وكتب في اللوح ؛ أنَّ دولة الحسن لا عدل فيها ولا رحمة وأنَّ ملوك القلوب كلهم ظلمة يجفون عاشقيهم ولا ينظرون إلى قلوب قد ديست تحت أقدامهم الجبابرة :

إن جُـــرتَ في حُكـــمٍ فَـــلا عَجَـــبَ ... كـــم مِـــن مَليـــك جَـــارَ مُـــذ قَـــدِرَا

(المصدر نفسه ، ص ٦٤)

لكنّ العاشق الولهان مهما جفا به المعشوق وبالغ في جفاءه إياه لا يحزنه ذلك أبداً ويحاول من جديد أن يفتح طريقه إلى قلب المحبوب فيذَكرُ خصاله الحميدة وأفعاله الكريمة وأنّه من أمَّ داره لا يرجع قانطاً لما فيه مِن كرم الجود وإصالة العود. ويتعجب كيف خابت عيناه الجاريتان وهي عالمة بمناقبه المحمودة :

مـــا تَنـــهرونَ الـــدَّهرَ سَائلـــكم ... فَـــعَلامَ سائـــلُ أدمعـــي نُهِـــرَا

(المصدر نفسه)

هذا شاعرنا ، وقد جفاه من هو أعزّ إليه مِن نفسه ويصَدِّقُ قولَ الوشاة عنه ، في حين أنّ المعشوق لطيف مع كل الناس إلا مع شاعرنا الملهوف ، فماذا يفعل هذا البائس؟ أ يلجأ إلى سبيل آخر ؛ يذَكره ملاطفته مع الآخرين و الوفاء بعهده تجاههم؟ وهل يجدي ذلك نفعا؟ طبعاً لا ، لأنَّ الكلّ يعرف ذلك كما يعرف أنّ طينته جُبلت بهذه الخصال. ولا غرو في ذلك وإنّما العجيب هو أنّ حقّ شاعرنا قد سلُب وعهده لم يرعَ ، والذي وفى بعهده من بين العشاق وراعى حقوق المحبوب ، هذا هو الشاعر المسكين فيتأوّه قائلا :

حفـــظُ الـــذمامِ عهـــدتُ شـــيمتُكم ... فَـــذمامُ وُدّي مـــا لَـــهُ خُفِـــرَا

(المصدر نفسه)

ثمّ يصف الشاعر في البيت التالي الميزات الظاهرية للمحبوب وأنّه عندما يمشي ترى قامته تنثني كأغصان البان وأفضل من ذلك يفضح هذه الأغصان بدلا لها وعندما يخرج سافرا ترى القمر يختفي تحت السحب الداكنة لما يرى من جمال المحبوب وحسنه :

إن هَـــزَّ قـــامتَه وإن سَـــفِرَا ... فَضَـــحَ الغُصُـــونَ وأخجَـــلَ القمـــرَا

(المصدر نفسه ، ص ٦٥)

هذه هي خصال الحبيب وميزاته الجمالية فلا عجب أن يسكب الشاعر دموعه التي تترقرق كالعيون الجارية تحت أشعة الشمس الذهبية وتتلألأ كالمرجان على خدّيه النحيفين. وتشبه هذه الدموع في تلألؤها بأسنان الحبيب عند إبتسامته ، لكنّ هناك فرق بارز بينهما وهو أنّ هذه الدموع متبعثرة ، ومضطربة ، ومنتثرة ،كحال الشاعر في حين أنّ الأسنان المرجانية للحبيب منتظمة ، و متساوية ، ومتمالكة ، كحال الحبيب نفسه :

أُنظُـــر إلى دَمعـــي وَمَبسِـــمِهِ ... دُرَّيـــنِ مُنتَظمـــاً وَمُنتَثـــرا

(المصدر نفسه)

ومهما كان من الأمر فشاعرنا ملتزم بالسكينة والوقار لا تخرجه الشدائد من دائرة الاتزان ولا يذبح عقله ورصانته أمام حبه ويحاول أن يكتم حبه الجموح بمساعدة نفسه الأبية وحزنه الدفينة :

وَأَطَعتُ في تركِ الغَرامِ بِهِ الـ ... لمسليينَ الهمَّ و الكبرَا

(المصدر نفسه، ص ٦٦)

فالشاعر يصحو عن سكره فجأةً بمدد نفسه الأبية والتي يسميها الكبر، ولا عجبَ في ذلك لأنّ السكران يصحو عن سكره وإن طال الزمان به:

وَصَحَوتُ عَن سُكرِ الصّبا عَجِلاً ... لابدَّ أن يصحُو الذي سَكرَا

(المصدر السابق)

ويشكر الشاعر في النهاية من محبوبه جزيلاً، لأنّه السبب الذي أيقظه من سكره والإنسان الحرّ يجب أن يشكر الآخرين الذين غمروه بلطف وإحسان:

وَشَكرتُ للهادي بِهِ نِعَماً ... وَالحرُّ إن يرَ نِعمَةً شَكرَا

(المصدر السابق)

هناك نوع آخر من المدح نجده في ديوان أبي المجد؛ وهو إنشاده الشعر في مدح آل كاشف الغطاء ويشتركه في هذا المدح شخص آخر. فعلى سبيل المثال اشترك هو والسيد جعفر الحلي ـ رحمهما الله ـ في نظم قصيدة، وكانا في بعض ضواحي النجف الأشرف، وتلخصا فيه إلى مدح الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، فكتبا إليه وهو في البلد:

للمَها منك نَظرةٌ وَالتفاتٌ ... وَبِبَدرِ السّماءِ منك سماتُ
وَلِوُرودِ الرِّياضِ منك ابتهاجٌ ... رَسَمتَهَ الخُدودُ وَالوَجَناتُ
وَقدُود الغُصونِ إن هي مالَت ... فَهيَ شوقاً إليك مُنعَطَفاتُ
لَك نَفسي الفداءُ يا حامِلَ الـ ... كأسِ أَرَقّها فإنَّ كأسي اللّثاتُ

(أبوالمجد، ص ٤٤)

فنشاهد في الأبيات المذكورة يشبهان عين الممدوح بعيون الظباء والبقرات الوحشية، وكأنّ جمال البدر وحسنه، وسمة من سمات الممدوح، ونضارة خدّيه منحت الأزاهير سروراً وابتهاجاً ونضرةً. وليس انعطاف الغصون تحت الرياح الهوجاء إلا شوقاً لما ينتظره من زيارة الممدوح، فهي تميل يمنةً ويسرةً اشتياقاً لقامته الرشيقة. وهما يتمنيان لو يفديان بنفسيهما في سبيل هذا الممدوح الذي أرقهما لياليَ طويلةً.

ومما يشترك أيضاً في نظمه هو والسيد جعفر الحلي قصيدة قد أنشآها ـ وكانا في قرية من ضواحي النجف الأشرف تسمّى «الرجبية» ـ وكتبا بها إلى الشيخ هادي آل كاشف الغطاء، فما هو لشاعرنا معلَّم بحرف «أ» وما للسيد جعفر معلَّم بحرف «ج»:

(أ) أيا غَزالَ المُنحنى قَدّك قَقَد ... جُرتَ عَلَى العُشاّقِ في لحظٍ وقَدّ
(أ) وَلَم تبرّد غلّه لِعاشِقٍ ... وَقَد حَوَى ثَغرك بَرداً وَبَرد
(ج) تُسَوّفُ الوَعدَ إلى غَدٍ وَيا ... ما أَقربُ الخلفَ وَما أَبعدُ غَد
(ج) أَعَرتُك القَلبَ فَمَا وَرَدتَه ... وَمَا سَمِعنا بِمُعارٍ لا يرَد
(ج) أَعِدهُ أو خُذ جَسدي وَلا تكن ... مُفرّقاً مَابَينَ قَلبٍ وَجَسُد
(أ) يا ظَبيُ أخشاك وَإنّي أَسَدٌ مَتى ... عَهِدنا الظَبيُ يخشاهُ الأُسَد
(أ) فَلي فُوادٌ فيك قَد ذابَ أسى ... وَدَمعُ عَينٍ فيك قَطُّ ماجمدا

(المصدر نفسه، ١٤٠٨هـ، ص ٥٣)

فنرى كيف يصف شاعرنا الممدوح بالغزال الذي ينحني قدّه وينثني لما فيه من لطافة ولينة، وهو مع ضعفه ولطافته يجور على العشاق بسهام لحظه وحسن قدّه. ويستطيع المحبوب أن يبرد بثغره غلة العاشقين ويروي عطشهم، لكنّه يتركهم في سكر الهيام. ويصل الدور إلى السيد الحليليبين أوصاف الممدوح وحالته، قائلاً:

أنت الذي تعدني باللقاء غداً وتسوّف الوعد من غدٍ إلى غد، فما أقرب خلف وعدك وما أبعد هذا الغد الذي تسوّفني إليه. أيها المحبوب! إنني أعرتك قلبي لكنّك خنت الأمانة وأسرت قلبي المهموم ولم ترده إلى؛ والعهد هو أن يرَدُّ المُعار. يا من الذي قلبي أسيره! فإمّا أن تردّ قلبي وإلا خُذ جسدي ولا تُفَرّق بين القلب والجسد. ويخاطب شاعرنا الممدوح بقوله:

أيها المحبوب! ويا من هو أعزّ إلى من نفسي! أنت كالغزال حسناً وبهاءً وأنا ذلك الأسد الذي أروم صيدك ولكنّني أخشى من سهام عيينيك، أتُرى كيف يخشى الأسد من الغزال؟

كان لي قلبٌ لكنه ذاب أسىً في حبك حال كونك لم تشفق عليّ وما صببت لي الدمع كي تجمد عينك.

والحق أن مدح أبي المجد مدح صادق خالص لأنه موجه إلى الأصدقاء والأحباء وليس مدحه من مدح التكسب السخيف الذي طالما اعتنى به الشعراء العرب، فهو في مدحه كبار المشايخ والعلماء يذكرنا أمثال كبار الشعراء الشيعة كالشريف الرضي الذي لم يتكسب بشعر ولم يمدح أحدا لأنه كان شريفا نبيلا عزيزا. ومع أنه لايوجد معنى جديد محدث في مدحه ولايتجاوز مدحه تلك المعاني المدحية التقليدية، كشرف الممدوح ونبله وكرمه و... ولكن الصداقة في القول ومزج المدح بنوع من الشعر الإخواني الغزلي جعل من مدحه نوعا من الحداثة المطلوبة.

ج) الرثاء

ومن جملة أغراض أبي المجد الشعرية هو الرثاء. ويختصّ هذا المدح برثاء سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وهو في رثائه يتطرق البحث للخصال المعنوية والقيم الروحية والأخلاقية للإمام الشهيد عليه السلام:

فـــي الـــدّارِ بَـــينَ الغَمـــيم وَالسَـــنَد أيـــامُ وَصـــلٍ مَضَـــت وَلَـــم تَـــعُد[1]

(المصدر نفسه، ص ٥٠)

يقول: أنا أتذكر أيام الوصل على سفوح تلك الجبال، وتلك أيام قد مضت ولا سبيل إلى رجوعها.

ضَـــاعَ بِـــها القَلـــبُ وَهـــي آهِـــلةٌ وَهي آهِـلةٌ وَضَاعَ مُـذ أَقفَرَت بِها جَلَدي

(السابق)

يقول الشاعر: إنّ قلبي كان تائهاً حين كانت الديار آهلة بالسكان، وعندما أقفرت وخلّت من الأحباء عيل صبري.

جَـرَى عَلينـا جـورُ الزّمـانِ كمـا مِـن قَبلـها قَـد جَـرى عَلـى لَبَـد

(المصدر نفسه)

يقول: هذا الضياع والبعد عن الأحبة بسبب جور الزمان وأهله، وليس هذا عجيباً لأنّ دأب الزمان هو إيجاد الفراق.

طـالَ عنـائي بـينَ الرُّسُـومِ وَهَـل لِلحُـرِّ غـير العنـاءِ والنَّكـد

(المصدر نفسه)

١ـ الغميم: النبات الأخضر تحت اليابس (ابن منظور، د.ت، ج٥، ص ٣٣٠٣). والسَّندُ: ما ارتفع مِن الأرض في قُبُلِ الجَبَلِ أَوِ الوادي (المصدر نفسه، ج٣، ص ٢١١٤)، وهما أيضاً اسم موضعين يمكن إرادتهما.

يواصل شاعرنا حديثه عن الفراق بأشعاره المفجعة ويقول: عنيت بسبب بقائي بين هذه الرسوم والطلل البالية التي هي كلّ ما بقي من آثار الحبيب، ثمّ يسلّي الشاعر نفسه لأنّه حرّ والحرّ لابدّ أن يعاني من العناء والنكد. ونراه بعد ذلك يعكف على الغرض من هذه القصيدة وهو الرثاء قائلاً:

ألا تَـرَى ابـنَ الـنَّبي مُضـطَهداً ... في الطّـفِ أضـحى لِشـرّ مُضـطَهِدِ
يـوم بَقـي ابـنُ النّـبي مُنفـرِداً ... وَهُـوَ مِـن العَـزمِ غـير مُـنفردِ
بماضـي سـيفهِ وَ مـقولِهِ ... فـرَّقَ بَـين الضّـلالِ وَ الـرّشَـد
فَقـالَ لا أطلـبُ الحيـاةَ وَ هَـل ... فِـراقُ دُنـياكم سِـوى وَكـد
لمّـا قَعَـدتُم عَـن نَصـرِ ديـنِكم ... وآلَ شَـملُ الهُـدى إلى البَـدد
بـقائمِ السّـيفِ قُـمتُ أنصُـرهُ ... مُـقوِّمـاً مـا دَهـاهُ مِـن أوَدِ
وَاليـومُ وصـلُ الحبيـبِ مَوعـدُهُ ... فَكيـفَ أرضـى تـأخيره لِـغدِ

(المصدر نفسه، ص٥١)

يشرح الشاعر سبب معاناته وحزنه، ومجمل القول هو أنّ ابن النبي ﷺ بقي مرملاً بدمه في أرض كربلاء. وقُتِلَ كلُّ أعوانه وأنصاره وبقي وحده ينادي: "هل من ناصرٍ ينصرني"، فلا يجيبه أحد. لكنّه عليه السلام ذو عزم قوي لا يزحزحه الإعصار. وهو عليه السلام بسيفه القاطع وبرهانه الساطع أنار الطريق للضالين، وفرّق بين الهداية والضلال. وكانت هذه الهداية في أوّل الأمر بالكلام المشفق، ولّما رآى أن النصيحة لا تجدي لهم نفعاً ولا يهتدون إلى الدّرب الرشاد، أخذ المشرفيّ ليدافع عن حريم رسول الله ﷺ ودينه، ويعلم تماماً بأن اليوم هو يوم وصله للحبيب فلا يستطيع أن يؤخره لغدٍ. ويبشّر نفسه بأن الله تبارك وتعالى شاء أن يراه قتيلاً وهو بقيامه هذا لا يطلب جاهاً، ولا مقاماً، ولاجنةً، ولا حُورا، وإنّما يطلب وجه الله تبارك وتعالى ورضاه:

بُشـراي أنّ الحبيـبَ شـاءَ يـرى ... فِـي الطّـفِ ميـدانِ خَـيلكم جَسَـدي
وَالـرّاسُ مِنّـي عَلَـى القَنـاةِ غَـداً ... يسـار مِـن بَـلدةٍ إلى بَـلدِ
وَلَسـتُ أبغـي سِـوى رضـاهُ وَلا ... يـدورُ خُلـدُ الجَـنانِ في خَلَـدي

(المصدر نفسه)

وهناك قصيدة أخرى أنشدها الشاعر في رثاء الإمام الشهيد ولا نجد في ديوانه قصائد للرثاء سوى هاتين القصيدتين فكأنّه اقتصر رثائه على الحسين عليه السلام. وعدد أبياتها قليلة لا يتجاوز سبعة أبيات ومن جملة ما قاله فيها:

أبَـت لـي هُمُـومي أن أذوقَ مَنامـا ... فَـلا تَعـذليني أن سَـبرتُ إمامـا
إلى مَ أسـيمُ الـبرقَ للـدّهرِ قَلبـاً ... وَأرقُـبُ سُـحباً للزّمـانِ جهامـا
وأن أنتضـي مِـن غِمـدِ سـيفي شُـعلةً ... فـأملأ آفـاقَ الـبلادِ ضِرامـا
فأتـرك أزواجَ الملـوك أرامـلاً ... وأتـرك أولادَ الملـوك يتـامى
فـإن مَنَعُونـا أن نعـيشَ أعـزةً ... فَـما مَنَعونـا أن نمـوتَ كـراما
فَلـي مِـن إبـاءِ الضّـيمِ يـا سـعدُ مـذهبُ ... تَحَـدّت أبـا السَّـجادِ فيـه إمامـا

(المصدر نفسه، ص ١٢١)

يعّبر الشاعر في قصيدته هذه عن همومه المكتومة وآلامه الدفينة وهي التي منعته النوم ومنحته الأرقّة والسهر. لكنّ لا عيب في كلّ هذه، لأنّه عرف بواسطتها إمامه المبين وقد نوّرَ الإمام عليه السلام قلبه بعد أن كانت مَحَجّبة بالسّحب الداكنة الجهلاء. وحان الأوان

كي ينتضي سيفه من الغمد ويقتل الملوك الجبابرة الذين منعوا الشاعر من الحياة العزيزة المقتدرة، وإن كانوا غير قادرين على منعه اختيار الموت كريماً عزيزاً. وهذا الإباء وعلوّ النفس تعلّمهماالشاعر من إمامه الشهيد الحسين عليه السلام.

وحال الرثاء في ديوانه كحال المدح والشاعر في رثاءه صادق الود والكلام وليس بكاءه على الإمام الشهيد مجرد دعوى وهو يبكي عليه حقيقة ويذرف الدموع! وهذا دأب الشيعة الذين يعرفون حق الأئمة المعصومين عليهم السلام.

د) الشّكوى

ومن الأغراض التي وردت في ديوان أبي المجد الشكوى. لكنَّ هذا الموضوع بالنسبة للموضوعين المذكورين أعلاه قليل جداً. فمن جملة ذلك، قصيدة يشكو فيها من ابن عمه، وقد أساء إليه مجازاةً لإحسانه عليه:

مَـا القُـربُ في الأنسـابِ نـافعٌ إذا ... تَباعَـدَ الأرحـامُ فـي الخَلائـقِ
كـم عـارضٍ مِـنهم رَجـوتُ سَيبَـه ... فَلـم أصِـب مِنـه سِـوى الصَّـواعقِ
لا غَـروَ إن حرمتُـه فـإنّ ذا ... جـزاءُ مـن يأمـلُ غـيرَ الخـالـقِ
لـيسَ ابـنُ عمـي مـانعَ الـرِّزقِ وَلا ... عَمّـي مِـن دونِ الإلـهِ رازقـي
يـا نفسُ لـي مِـن الإبـاءِ شـيمةٌ ... فصاحِبيـني مَـرّةً أو فـارقي
لا رَجعَـت كفّـي إلـى بـَعدَ مـا ... لِحاجـةٍ مُـدَّت إلـى الخـلائـقِ
أنّـي امـرُو لا اليسـرُ يطغـيني ... ولا العُسـرُ عَـن الجُـودِ تـراهُ عـايقي

(المصدر نفسه، ص ٦١ـ٦٢)

فهو في هذه الأبيات يشكو من أرحامه وأنسابه الذين أساءوا إليه عوض إحسانه عليهم، ويقول: لا ينفع النسب للإنسان إذا كان هناك بون شاسع في الأخلاق بين الطرفين، لأنّك تحسن إليه، لكنه بما خُبثت طينته فهو يسيء إليك ولا عيب له إذ جُبلّت على هذه الخصلة. وإذا رافقك شخص في الأخلاق وكان كفوك فيها فهو أقرب للنسب وكرم الأخلاق. ثمّ يشرح الشاعر قنوطه ممن يخالفه في الأخلاق ويقول: من رجى وأمّل العطاء وسيب الجود ممن ليس أهلاً للعطاء والجود، فلا شك أن تصيبه خيبة الأمل وينال اللوم والملامة بدل الحسن والعطاء.

لكن الشاعر يسّلي نفسه ويقول: إنني أحسنت على عمّي وابن عمّي ـ والإحسان شيمتي ـ لكنهما في زعمهما سدّا عنّي الرزق، وما أخطأ هذا الزعم لأنّ الذي يرزقني الله تبارك وتعالى، فعلى المعاوز أن يتّكل عليه سبحانه وتعالى. ثم يخاطب نفسه ويقول: أيتها النفس ألا تعلم أنّني ذو خصال حميدة وسجايا شريفة؟ ومن جملة هذه الخصال الإباءة والغرور أمام الأشخاص الدنيئة. فعليك بقبول هذه الخصلة منّي وصاحبيني بهذه الخصال وإلا فارقيني وشأني. ثم يلوم الشاعر بعد ذلك نفسه ويتمنى لو قطعت تلك اليد التي تسأل المخلوق بدل الخالق.

ه) أغراض أخرى (المقرضات ـ الصناعات البديعية)

مقرضاته

التقريض لغة يقول عنه الجوهري: «**التقريض مثل التقريظ يقال: فلان يقرّض صاحبه إذ مدحه أو ذمّه**» (الجوهري، ١٩٩٠م، ج٣، ص ١١٠٢) وهو في الاصطلاح: «**أن يصف الشاعر كتابا أو ديوان شعر أو قصيدة بكلام حسنٍ شعرا أو نثرا والغالب شعرا**» (صلال العكراوي، ٢٠١٢م، ص ٥١). ولأبي المجد براعة خاصة في هذا الفن حيث نرى أن أشعاره التقريضية احتلّت مكانةً واسعة في ديوانه، فقال ـ على نحو المثال ـ مقرضاً ديوان العلامة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء:

قَد أسكرتني وَلَيسَ السُّكرُ مِن أربي ... بناتُ فكرٍ حسينٍ لا ابنةُ العنبِ
رَقّت وَرَاقَ لأهلِ الفَضلِ مَنظَرُها ... كروضةٍ دَبّجَتها راحةُ السُّحبِ
يا ليتَ شَعري أشِعرٌ ما أراهُ وَذا ... نوعٌ مِن السِّحرِ أم ضَربٌ مِنَ الضَرَبِ[1]
يابنَ الأُلى جَمعُ شَملِ الدّينِ همّتهم قَد ... إذ همّةُ النّاسِ جمعُ المالِ والنّشبِ
سارَ شعرُك في الآفاقِ أجمَعُها ... كمَجدِ أهليك سيرَ الأنجَمِ الشُّهبِ
وكم بَنيتَ بأبياتِ القريضِ لَهم ... بيوتَ مَجدٍ قَدِ استَغنَت عَن الطنبِ
طلبتَ نيلَ عُلى أهليك مُجتهداً ... فَنِلتَ ذاك ونَيلُ المَجدِ بالطّلبِ
فَافخَر وَقُل مَن لَه جدٌّ كجدّي أم ... أخٌ كمثل أخي أم هَل أبٌ كأبي

(المصدر نفسه، ص ٣٤ـ ٣٦)

وقال أيضاً مقرضاً كتاب *العروة الوثقى* للفقيه الكبير السيد محمد كاظم الطباالطبايي اليزدي ﷺ :

فقيهُ بيتِ الوحي ما خابَ في ... عُروَتِه الوُثقى مَنِ استَمسكا
فإنَّ أهلَ البيتِ أدرى بِما ... في البيتِ مِن أحكامِهِ مُدرِكا

(المصدر نفسه، ص ١٠٨)

الصناعات البديعية

قد استخدم شاعرنا الصناعات البديعية في شعره كثيراً وأكثرها تداولاً هو التّورية، والجناس، و التضاد، ومما قاله مضمناً بيت المتنبي وفيه التورية والتضاد:

وَقَد غابَ الحبيبُ وزارني ... بَغيضٌ إليهِ الثقلُ ينمى وينسبُ
أما تغلطُ الأيامُ فيّ بأن أرى ... (بَغيضاً تناءُ أو حَبيباً تقرَّبُ)

(المصدر نفسه، ص ٣٩)

التورية هنا في كلمة "الحبيب" إذ له معنيان: أحدهما قريب غيرُ مقصود ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد مقصود، ودلالة اللفظ عليه خفية. والتضاد في كلمتي"تناء" و"تقرب".

وله في التورية والجناس:

لَقَد زُرتُ في كانون ساحةَ حارثٍ ... أصَكّك للأسنانِ مِن شدّةِ البَردِ
فأوقِد بَردياً فقلتُ مُداعباً ... متى يصطلي المقرورُ يا صاح بالبردي

التورية هنا كلمة البردي في المصرع الثاني من البيت الثاني معناه الظاهري هو نبات كالقصب وهو غير مقصود ومعناه الخفي، هو الثوب وهوالمراد. وأمّا الجناس ففي كلمتي: البرد في البيت الأول والبردي في البيت الثاني من نوع الجناس الناقص.

أبو المجد والشعر الفارسي

مما يلفت الانتباه ويثير العجب في نفس من يبحث عن شعر أبي المجد هو أن الشاعر النجفي مع ترعرعه في أصفهان وإتقانه اللغة الفارسية ـ باللهجة الأصفهانية ـ لكنه لم يقل الشعر الفارسي إلا أبيات معدودة لا تتجاوز العشرة على حدّ قول حفيده (هادي النجفي)! والشاعر فيه الملكة الشعرية العربية وبإمكانه أن يكون من الشعراء ذوي اللسانين ولعلّ نزوحه النازح إلى العربية يمنعه أن

١ـ الضّرَب، بالتّحريك: العَسَل الأبيضُ الغليظ، يُذكرُ ويؤنّث (ابن منظور، د. ت، ج٤، ص ٢٥٦٧).

يقول الشعر الفارسي ـ والله أعلم ـ مهما يكن من أمر فهو يعتبر نفسه شيخا نجفيا وقع في شرائك عيون الأصفهانيات الجميلات وهو يقول في بيت شعر فارسي يرويه لنا حفيده هادي النجفي:

عقـــل و دل بردنـــد از شـــيخ نجـــف　　خوبرويـــــان صـــــفاهان الغيـــــاث

والبيت يتداعي في الذهن قصيدة «حافظ الشيرازي» المعروفة التي هي في نفس البحر والوزن وهي تتكرر فيها «الغياث» كرديفٍ لها بعد القافية «ان»:

درد مـــا را نيســـت درمـــان الغيـــاث　　هجـــر مـــا را نيســـت پايـــان الغيـــاث

وليت الشاعر كان يهتمّ بالشعر الفارسي إلى جانب الشعر العربي حتى يكون نتاجه الأدبي أكثر وتراثه الثقافي أذخر!

لا يخلو من الطرافة أن نشير إلى أن أقران أبي المجد ومحبّيه الإيرانيين الذين رثوه بعد موته بقصائد فارسية جميلة ذكرها حفيده هادي النجفي في كتاب *قبيله عالمان دين* ومنهم المرحوم العلامة الحاج علي فاني الأصفهاني، حيث يقول:

ز دسـت رفـت «رضـا» و سـياه گشـت جهـان　　بلـى چـو مِهـر رود شـام تيـره اسـت عيـان

ز اهـل علـم ملـول و بـه علـم خـود مشـغول　　ز قوم و خويش به رنج و ز بخت خـويش نـوان

(نجفی، ۱۳۸۲، ص ۱۱۳)

النتيجة

من خلال دراسة حياة أبي المجد وأشعاره وصلنا إلى نتائج، أهمّها:

١ـ للشعر الإخواني حظ وافر في ديوان أبي المجد فالشاعر يسعى بشعره هذا أن يواصل المودة فيما بينه وهولاء الأصدقاء. أما شعره الإخواني فإما بيان عن تحسره على فراق الأحبة وإما تحية لصديق ودود وإما ممازحة ومداعبة معه تنطوي على نوع من المودة الأصيلة.

٢ـ أما مدحه فإنّه لم يمدح أحداً حبّاً لمال أو جاهٍ؛ فكان مدحه خالصاً ينمّ عن حبّه الصادق تجاه الممدوح. وما يلفت الانتباه في مدحه كونه مقلدا لمعان تقليدية في المدح وعدم تطرقه إلى الجديد والمبدع إلا في نزر قليل من شعره.

٣ ـ لقد ابتدع أبو المجد نوعاً من الأشعار وهو مشاركته في إنشاد القصيدة مع شاعر آخر لا نجد نظيره في الشعراء الإيرانيين الذين أنشدوا بالعربية.

٤ـ إنّنا لا نجد تأثير الأحداث السياسية في شعره، وخاصة الحرب العالمية الأولى، والفتن التي ظهرت في ذلك العصر؛ فكأنّه عاش في زمان غير زمانه.

❁❁❁

المصادر والمراجع

أ. العربية

۞ القرآن الكريم

١. ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت). ***لسان العرب***. القاهرة: دارالمعارف.

٢. أبو المجد الأصفهاني، محمد رضا. (١٤٠٨هـ). ***ديوان أبي المجد***. (تحقيق السيد أحمد الحسيني). (ط١). قم: مطبعة الخيام.

٣. ـــــــــــــــــــ. (١٤٢٧هـ). ***السيف الصنيع على رقاب منكري علم البديع***. (تحقيق مجيد هادي زاده). (ط١). قم: المكتبة الأدبية الخاصة.

٤. الأمين، السيد محسن. (١٩٨٣م). ***أعيان الشيعة***. بيروت: دار التعارف للمطبوعات.

٥. الجوهري، إسماعيل بن حماد. (١٩٩٠م). ***الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية***. (تصحيح أحمد عبالغفور عطار). (ط٤). بيروت: د.ن.

٦. الحلي النجفي، السيد جعفر. (١٩٨٨م). ***سحر بابل وسجع البلابل***. (تحقيق الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء). (ط٢). بيروت: دار الأضواء.

٧. الخاقاني، علي. (١٤٠٨هـ). ***شعراء الغرّي***. قم: مطبعة بهمن.

٨. صلال العكراوي، إسراء محمد رضا. (٢٠١٢م). ***شعرُ أبي المجد الأصفهاني***. (ط١). النجف: مكتبة الروضة الحيدرية.

٩. عمرو بن كلثوم. (١٩٩١م). ***ديوان عمرو بن كلثوم***. (جمع وتحقيق وشرح إميل بديع يعقوب). بيروت: دار الكتاب العربي.

١٠. كفافي، محمد عبد السلام. (١٩٧٠م). ***في أدب الفرس وحضارتهم***. بيروت: دارالنهضة العربية.

١١. الهاشمي، أحمد. (١٣٨٦). ***جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع***. (ط١). قم: دار الفكر.

ب. الفارسية

١٢. جزى، عبدالكريم. (١٣٢٨هـ). ***رجال أصفهان يا تذكرة القبور***. (٢). ايران: بى‌نا.

١٣. رازى، شيخ محمدشريف. (١٣٥٢هـ.ش). ***گنجينه دانشمندان***. تهران: چاپ اسلامى.

١٤. شاملى، احمد. (١٣٧٨هـ.ش). ابو المجد اصفهانى علامه محمد رضا نجفى اصفهانى. ***مجله فرهنگ اصفهان***، بهار ١٣٧٨، ١١، ص ٦٢ـ٧٠.

١٥. مدرس تبريزى، محمدعلى. (١٣٧٤هـ.ش). ***ريحانة الأدب***. (٤). تهران: چاپخانه حيدرى.

١٦. نجفى، هادى. ***مصاحبه با هادى نجفى***. ٢١ آبان ١٣٩٢. در محل مسجد نو بازار.

١٧. ـــــــــــ. ***قبيله عالمان دين***. (١٣٨١هـ.ش). (١). قم: انتشارات عسگريه.